

شرح الحكم العطائية

وكذلك طلب الجزاء على الصدق - أي الإخلاص فيه - مما يتعجب منه لأنه مهديه إليك .
وإنما عبر في الأعمال بالصدقة وفي الصدق الذي عليه مدار قبول الأعمال بالهدية إشارة إلى
تباينهما في الشرف كتباين الصدقة والهدية .

(254) قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم .
يعني أن الواصلين إلى الله تعالى على قسمين : قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وهم المجذوبون
المرادون الذين لم يتكلفوا شيئاً بل واجهتهم الأنوار فحصلت منهم الأذكار .
وإذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء .

وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم وهم المريدون السالكون فمتى اجتهدوا في الأذكار حصلت لهم
الأنوار واهتدوا لمرضاة العزيز الغفار . قال تعالى :
ص 172 .

{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } (69) العنكبوت . ثم
بين حال الفريقين بعبارة أخرى فقال :

(255) ذاكر ذكر ليستنير قلبه وذاكر استنار قلبه فكان ذاكراً .
الأول راجع للفريق الثاني وهم السالكون والثاني راجع للفريق الأول وهم المجذوبون وكل
على نور .

(256) ما كان ظاهر ذكر إلا عن باطن شهود وفكر .

يعني أن الذكر الظاهر - والمراد به الأعمال الظاهرة جميعها - لا تكون إلا عن باطن شهود
الحق جل شأنه والتفكير في آثار قدرته فإن صلاح الظاهر تابع لصلاح الباطن . وإنما خص الذكر
بالذكر من بين سائر الأعمال لأنه روحها والمقصود بالذات منها قال تعالى : { وَأَقِمِّ
الصَّلَاةَ لَذِكْرِي } (14) طه . ثم وضع هذا المعنى بقوله .

(257) أشهدك من قبل أن يستشهدك فنطقت بإلهيته الطواهر وتحققت بأحدثه القلوب
والسرائر .

أي أطلعك سبحانه على وحدانيته بتجلي أنوار المعارف على قلبك حتى شاهدت ذلك على حسب
قدرك من قبل أن يستشهدك - أي يطلب منك أن تشهد بعظمته وجلاله بذكرك وعبادتك - فإن الذكر
والعبادة شهادة منك بعظمة المذكور والمعبود فنطقت بألوهيته - أي ما يدل عليها -
الطواهر - أي الجوارح - بأن أتت بالأعمال التي تكاد تنطق بعظمة ذي الجلال وهذا راجع
للاستشهاد .

وقوله : وتحققت بأحدثه القلوب والسرائر راجع للإشهاد .

(258) أكرمك بكرامات ثلاث : جعلك ذاكرًا له ولولا فضله لم تكن أهلاً لجريان ذكره عليك . وجعلك مذكورًا به إذ حقق نسبته لديك . وجعلك مذكورًا عنده فتمم نعمته عليك . يعني أن الله تعالى أكرمك أيها المؤمن بثلاث كرامات جمع لك فيهن أنواع الفضائل والمبرات . الأولى : جعلك ذاكرًا له بلسانك وقلبك ووجه حلاوة ذلك إليك ولولا فضله لم تكن أهلاً لجريان ذكره عليك .

والثانية : جعلك مذكورًا به عند الناس بأن يقال : هذا ولي الله وذاكره إذ حقق نسبته - أي خصوصيته - لديك وهي ما أظهره من أنوار الذكر والطاعة عليك . والثالثة : جعلك مذكورًا عنده فتمم نعمته عليك بمزيد الإكرام ومنتهى الفضل والإنعام . وفي الحديث القدسي : " من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه " .

وقال A : " ما جلس قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده " آه . والعندية هنا عندية مكانة - أي شرف - لا مكان تعالى الله عن ذلك